

هل تكون حرب المياه على حافة البدء

الكولونيل شربل بركات

لماذا استعجل لبنان تنفيذ مشروع "مسلوق" على أقصى الحدود الجنوبية واليوم بالذات؟ هل ذلك بسبب إنهائه مواضع المياه مع سوريا في اتفاقية العاصي واتفاقية النهر الكبير الجنوبي (الشمالي)؟ أم فقط لحاجة أبناء الجنوب "المحرومين" من المياه والحنان وكل ما تعنيه الدولة عادة، إذا لم يكن لها أن تفرض سلطتها هناك وتنتشر جيشها؟.

لا يستطيع أحد أبداً أن ينكر على لبنان حقه في مياهه وخاصة إذا ما كان هذا الحق تصونه موثيق دولية. وبالرغم من أن هناك فرق بين نهري الحاصباني والوزاني وأن الأخير ينبع في مكان ملاصق للحدود اللبنانية الإسرائيلية وهو يسير في لبنان بموازاة هذه الحدود مسافة سبعة كيلومترات تقريبا، إلا أنه نبع غزير المياه حتى عندما تشح الينابيع الأخرى، فمجرى الحاصباني، الذي يدخل هو الآخر إلى إسرائيل ويصب في بحيرة طبريا مع الوزاني وبانياس (الذي ينبع ليس بعيدا عنه إلى الشرق في آخر ما يسمى بالجولان السوري غربا)، تشح مياهه صيفا ولا يعود يصل منها إلى إسرائيل شيئا تقريبا. ويستعمل سكان منطقة حاصبيا وجوارها مياه النهر لسقاية البساتين الواقعة على ضفافه وبعض الزراعات الصيفية خاصة الخضار. أما الوزاني فإن مياهه تكاد لا تفيد أبناء المنطقة بسبب وقوع النبع في منطقة منخفضة وقريبة جدا من الحدود تجعل من مجراه، الذي يسير بعكس سهول سرده والعمرة والمجيدية، المحيطة، والتي لم تعتمد على مياهه في السابق، مجرد منخفض ضيق يسير فيه النهر مجتازا هذه المسافة الصغيرة ليخرج إلى سهول الحولة الواقعة إلى الجنوب منه. وحيث أن تلك المنطقة تكثر فيها العيون والينابيع إن من ناحية الشرق (المجيدية والماري..) أو الغرب (في سهول القليعة ومرجعيون والخيام)، فإن الطرق المتبعة في الري لا تزال بدائية ولذا فإن المزارعون لا يستغلون مياه الري إلا إذا كانت الأراضي واقعة تحت المياه ما لا ينطبق على حالة الوزاني، وبالتالي لم يكن هناك أبدا عقدة عند اللبنانيين أهالي المنطقة من عدم الاستفادة من هذه المياه، ما لا يعني مبدئيا عدم حق لبنان باستغلال حصته فيها. أما أن يصور الوضع وكأنه آخر منبع قد يبقى أهل الجنوب العطشى إلى نقطة الماء، أحياء، فهذا هراء، إذا لم يكن خداع، وعلى طريقة سعيد الكذاب والذئب، والذي يغلب الناس عندما لا يكون هناك ذئب حتى إذا ما جاء الذئب حقيقة لا يجد من يدافع عنه.

ولكن عندما سمعنا بالأمس السيد نصر الله وقبله الشيخ نعيم قاسم يدعوان إلى الجهاد في المعركة الحقيقية معركة المياه بين لبنان وإسرائيل التي تريد أن تمنع لبنان من استغلال مياهه، ثم ما تلاها من الإشارة إلى التلهي عن المعركة المصرية بمسائل الحريات وغيرها مما لا فائدة منه، فهمنا، على سذاجتنا، بان الفيلم الجديد هو لتحويل أنظار اللبنانيين عن معركتهم حول الحرية، بسبب انشغال الدولة بشأن أهم، وهو مصير الوطن ومياهه الضائعة التي يمنعه "العدو الصهيوني" من استغلالها، لا بل يخطط هذا العدو "الغاشم" لقتل أبناء الجنوب عطشا. لكننا نعلم أن إسرائيل هي التي أعطت حزب الله هذا الزخم وهذا الموقع السياسي في لبنان، بمشاركة سوريا طبعاً. ويقول البعض بأنهما قد تفاهما، بالطرق الغير المباشرة، على المصالح، بما فيها حزب الله. وإذا كان الكونغرس الأميركي يريد الضغط على سوريا في شأن موضوع الإرهاب ما اضطر قسم الخارجية

في الإدارة إلى الجري، وبسرعة، للدفاع عن سوريا و"تعاونها في مكافحة الإرهاب"، وقد سارعت هذه، وتحت عيون ساترفيلد، إلى تنفيذ هجوم، كهجومات حزب الله (الإعلامية)، على مخيم الجليل في البقاع. وكنا نود لو أنها نفذت دخولا، ولو رمزيا، إلى مخيم عين الحلوة مثلا، أو سمحت للسلطة، يومها، بالدفاع عن نفسها في صراع الأوزاعي الذي نفذ فيه حزب الله هجومه على عناصر قوى الأمن بينما كانت تقوم بواجب تنفيذ قرار حكومي. وإذا كان جماعة حزب الله لبنانيين ولا يجوز الضغط عليهم واستعمال القوة معهم، فلماذا تستعمل هذه القوة في الأشرفية كل يوم؟ أو أن أبناء الأشرفية لم يعودوا لبنانيين كما هم أبناء الضاحية الجنوبية؟..

الوضع خطير كما يصوره السيد نصر الله وهو قد يكون بصدد تحضير صواريخه لقصف عمق إسرائيل لحماية مصالح لبنان وحقوقه في مياهه. وها إن الولايات المتحدة التي تستعد، كما يقال، لضرب صدام، تسارع بإرسال الخبراء لحل الوضع بين لبنان وإسرائيل ومنع تفاقمه الذي قد يخلق تحويلا للأنتظار عما يجري في العراق. وقد تنوع إسرائيل بقسطل من مياه الفرات أو دجلة بدل مياه الوزاني، من يدري؟ وقد تنضم سوريا للتحالف الجديد ضد الإرهاب، ولكن هل يحلم السيد نصر الله بأن يصبح هو الآخر عضوا في التحالف؟ أم إنه يتحضر لتحرير "الأهواز" متى أتت الساعة وإقامة كيان أصولي آخر على أبواب الخليج؟..

حرب الماء لا بد آتية، ولكنها لن تقوم بسبب الوزاني بالتأكيد، فهو ليس بهذا الحجم. والكلام على توزيع المياه في الشرق الأوسط بالشكل الذي يلائم حاجات الدول في القرن الواحد والعشرين يجب أن تتدخل فيه دول كبرى وحلول على مستوى مياه تركيا والعراق ومصر ولبنان ككل وليس فقط الوزاني أو الليطاني منفردين فمياه هذه الأتهار لا تحل أزمة في لبنان ولا في إسرائيل وهي بالتأكيد لن تكون أساسا لحروب المياه في الشرق الأوسط...